**المحور الثاني: العمران في الفكر الإسلامي/ماستر1وسيط/أ.مطهري.**

**الجزء الأول: ضوابط وأسس تخطيط وتحصين المدن عند بعض المفكرين المسلمين:**

أما بخصوص تخطيط المدينة و تحصينها وعمرانها فقد حدد المفكرون مجموعة من الشروط و المقاييس التي يجب مراعاتها في بناء و تعمير المدن وأولها في اختيار الموقع و المكان اللائق، فليس كل المواضع المعمورة صالحة للتعمير و المسكن و لا كل بقعة في كل موقع تصلح لذلك[[1]](#footnote-1)، و من بين الشروط و المعايير نذكر:

**أولا- شروط اختيار الموقع:**

فقد تحدث القزويني عن تقاسم الأرض و حدد أفضل مكان لسكنها و تأثيرها على الأبدان وأخلاق الانسان، و أن منها الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال، و ذكر أن معظمها لا يصلح للسكن، و أن ما يصلح للسكن من الأرض قدر يسير و هو أواسط الأقاليم الثالث و الرابع والخامس، ثم بين سلبيات المساكن الحارة و المساكن الباردة و كذا الرطبة و اليابسة و الحجرية، وآخر ما ذكره المساكن الآجمية و البحرية، و من خلال الأوصاف التي ذكرها فإن المساكن الرطبة والمساكن الآجمية و البحرية هي الأفضل للسكن لأن هواءهم معتدل ليس بشديد الحرارة و لا شديد البرودة، كما أن سكانها موصوفون بالسحنة – أي الحالة الجيدة-[[2]](#footnote-2).

و تحدث ابن خلدون عن الهدف و الغاية من انشاء المدن بقوله: "إن الغاية من تأسيس وبناء المدن هي إيجاد المساكن و المنازل و الملاجئ، و من الضروري نبذ الأشياء الضارة عن هذه المدن وأن نوفر في جميع هذه المساكن وسائل الراحة و المنفعة العامة" و حدد ثلاثة شروط يجب مراعاتها في اختيار الموقع وهي: دفع المضار، و جلب المنافع و تسهيل المرافق فقال: "أعلم أن المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف و دواعيه، فتؤثر الدعة و السكون و تتوجه لاتخاذ المنازل للقرار، و لما كان ذلك للقرار و للمأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع و تسهيل المرافق لها"[[3]](#footnote-3).

و يقول توفيق حمد عبد الجواد: "أي موقع المدينة الجغرافي الطبوغرافي سيشكل عاملا من أهم العوامل لتكوين الشكل العمراني للمدينة لنموذجها الوظيفي و لتحديد شخصيتها المعمارية، فالمدينة إما أن تكون ساحلية و ذلك ما هو نادر في التراث الاسلامي لجنوح المسؤول عادة عن الساحل لضرورات أمنية[[4]](#footnote-4)، و ثمة بالطبع حالات خاصة، و اختيار موقع كهذا يظهر حرص مؤسس المدينة على تأمين عامل الأمان وغالبية المدن بنيت على طرق التجارة[[5]](#footnote-5) و في سفح جبل قرب واد خصب"[[6]](#footnote-6)، و هذا ما ينطبق على مدينة تيهرت التي تقع على السفح الجنوبي لجبل جزول، و يأتيها من الغرب نهر سمي مينة و نهر آخر سمي تاتش[[7]](#footnote-7).

و وضع ابن الأزرق شرطين أساسيين يجب مراعاتهما في اختيار مواضع المدن و هما دفع المضار وجلب المنافع[[8]](#footnote-8)، و هو في الحقيقة كما قال محمد بن حمو: "ينقل عن ابن خلدون حرفيا إلا في القليل النادر"[[9]](#footnote-9)، و اعتبر ابن الأزرق العمارة الركن الخامس من أركان الملك بعد نصب الوزير و إقامة الشريعة وإعداد الجند و حفظ المال[[10]](#footnote-10).

أما ابن أبي الربيع[[11]](#footnote-11) فقد حدد أربعة شروط لاختيار الموضع لإنشاء مدينة و هي كالآتي:

1. سعة المياه المستعذبة و ذلك بأن تكون قرب نهر أو بها آبار و عيون بحيث يأخذ الناس حاجاتهم من الماء عن قرب.
2. امكانية الميرة المستمرة، هي الطعام الذي جمع للسفر و نحوه فهو كل ما يصلح للادخار و يكون بالكثرة بحيث لا يحتاج أهلها إلى جلبه من مكان آخر و هذا ما نستشفه من الآية الكريمة: ﴿**وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ**﴾[[12]](#footnote-12)، في أن فلسطين غاب عنها هذا الشرط حيث توفر في مصر، مما اضطر أهل فلسطين إلى الخروج للبحث عن المسيرة.
3. اعتدال المكان و جودة الهواء، و هذا مهم لحياة الكائن الحي و سلامته من الأمراض، فهنا يذكر القزويني: "ثم إن الملوك من الأمم الماضية لما أرادوا بناء المدن أخذوا آراء الحكماء في ذلك، فالحكماء اختاروا أفضل ناحية في البلاد و أفضل مكان في الناحية و أعلى منزل في المكان من السواحل والجبال و مهب الشمال، لأنها تفيد صحة أبدان أهلها و حسن أمزجتها، و احترزوا من الآجام والجزائر و أعماق الأرض فإنها تورث كربا و هما"[[13]](#footnote-13).

و قد ذكر المسعودي خبرا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه بعد نجاح الفتوحات الاسلامية في العراق و الشام و مصر و غيرها، كتب إلى أحد العلماء مستوصفا بقاع المعمورة: "إنا أناس عرب، و قد فتح الله علينا البلاد، و نريد أن نتبوأ الأرض و نسكن البلاد و الأمصار، فصف لي المدن و أهويتها ومساكنها و ما تأثره الترب و الأهوية في سكانها" فكانت وصفة ذلك الحكيم تتضمن مضار الحياة بالمناطق الباردة و الحارة، و منافعها بالمناطق المعتدلة، و رصد خصائص البيئة في عدة بلدان مثل الشام، ومصر و اليمن و الحجاز و المغرب و العراق و فارس و الهند و الصين[[14]](#footnote-14)، هذا الموقف يؤدي إلى استنتاج أن المسلمين الأوائل كانوا يتمتعون بفكر بيئي راق ارتبط بعدة اعتبارات أمنية و صحية و اقتصادية[[15]](#footnote-15).

1. القرب من المراعي و الاحتطاب، لأن العيش كان يعتمد على الدواب، يأكلون من لحومها ويشربون من ألبانها، و يركبون ظهورها (ممكن الآية) فوجب توفر المراعي لها و أيضا الاحتطاب، لاستعماله في البناء و الطهي، و كان اختيار موقعي البصرة و الكوفة مناسبا للصحة و أحوال الابل حيث بعث عمر بن الخطاب للفاتحين موافقته يقول: "إن العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها إبلهم"[[16]](#footnote-16).

1. - محمد بن حمو: مجلة القرطاس، المرجع السابق، ص65. [↑](#footnote-ref-1)
2. - القزويني: المصدر السابق، ص8. [↑](#footnote-ref-2)
3. - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص73، محمد سرباح، عبد القادر صاف: حوليا التاريخ و الجغرافيا، الملتقى الوطني الثالث، المدن الجزائرية عبر العصور، المرجع السابق، ص274. [↑](#footnote-ref-3)
4. - فقد بنيت القيروان على بعد ستة و ثلاثين ميلا من البحر و نحو ميل من تونس، حسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، 1983، ج2، ص87، و برر عقبة بن نافع اختياره ذلك الموقع لأصحابه لما أرادوا لها مكانا قرب البحر قال: "إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية، و يملكها، و لكن اجعلوا بينها و بين البحر ما لا يدركها معه صاحب البحر"، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1983، ج1، ص19، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1380هـ/ 1965م، ج3، ص456. [↑](#footnote-ref-4)
5. - يذكر برودال حول المدن ما يلي: "...نقاط جامدة فوق الخرائط، فهي تتغذى من الحركة، و ما تجارتها إلا حركة"، F.Braudel, civilisation materielle et capitalisme, paris, 1967, p. p 372- 374. [↑](#footnote-ref-5)
6. - توفيق حمد عبد الجواد: العمارة الاسلامية فكر و حضارة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1987، ص 300- 301. [↑](#footnote-ref-6)
7. - و هذا ما أكده كل من الادريس، و صاحب الاستبصار و اليعقوبي بقوله مثلا: "تاهرت مدينة كبيرة آهلة بين جبال وأودية..." مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، مطبعة جامعة الاسكندرية، مصر، 1958، ص66، الادريسي: المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حققه و نقله إلى الفرنسية محمد بلحاج صادق،= =المؤسسة العامة للنشر والاشهار، حيدرة، الجزائر، 1983، ج3، ص274، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت، د.ت، ص149. [↑](#footnote-ref-7)
8. - ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب،1988،ج1،ص 356- 357. [↑](#footnote-ref-8)
9. - محمد بن حمو: مجلة القرطاس، المرجع السابق، ص68. [↑](#footnote-ref-9)
10. - ابن الأزرق: المصدر السابق، ج1، ص223. [↑](#footnote-ref-10)
11. - ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة و تحقيق ناجي التكريتي، منشورات عويدات بيروت، ط1، 1978، ص136، محمد بن حمو: المرجع السابق، ص67. [↑](#footnote-ref-11)
12. - سورة يوسف: الآية 65. [↑](#footnote-ref-12)
13. - القزويني: المصدر السابق، ص8، محمد بن محمد: القرطاس، المرجع السابق، ص66. [↑](#footnote-ref-13)
14. - المسعودي: مروج الذهب و معادن الجوهر، تقديم محمد السويدي، سلسلة الأنيس، موفم، الجزائر، 1919، ج2، ص- ص 41- 45. [↑](#footnote-ref-14)
15. - كمال صيفوري: الفكر البيئي في الحضارة الاسلامية، مجلة كان التاريخية، دار ناشري الأرشيف العالمي، العدد 20، السنة السادسة، جوان 2013، رجب 1434، ص50. [↑](#footnote-ref-15)
16. - كمال صيفوري: المرجع السابق، ص59. [↑](#footnote-ref-16)